لا تزيد نفقات النقل على نفقات الفحم المنقول اليها من داخل لبنان على متن البغال والجمال . فتأمل

٣ الحُمَر

يُستدل عند اول وهلة على ان هذا المعدن كثيرٌ في لبنان ففي الشرق والجنوب تحيط بالجبل اراضٍ يُشاهد فيها الحُمَر بكثرة ففي بلاد بشارة يُرى الحمر في عينبل وحُرهة وفي غير مواضع من قائمقاميَّة صور . غير ان اشهر مستودعات الحمَر في قضاء مرجعيون واغناها منجم حاصبيّا الذي هو من املاك الحضرة السلطانيَّة . وكفاهُ وصفاً ان يُقال انهُ قد كان يُستخرج منهُ في اليوم ٨٠ صندوقاً وزن كلٍ منها ١٠٠ كيلو

فمع ذلك ليس لبنان على شيءٍ من غنى الاقطية المجاورة لهُ ولا نعرف في الجبل الّا منجماً واحداً وهو منجم مليخ في قائمقاميَّة جزّين غير انهُ قليل المادَّة . ولذلك عدلوا عنهُ بعد ان باشروا باستثماره لقلّة دخلهِ لان نفقات الاستخراج باهظة والحصول طفيف لذلك لا سبيل للمباراة مع منجم حاصبيّا . امّا في قضاء البترون فآثار الحُمَر دون ذلك فلا يُعتدّ بها ولا نتيجة لها ترغّب باستثمارها . امّا غير ما ذكر من اصناف الوقود المعدنيَّة كالبترول فلا اثر لهُ في تربة لبنان (له تتمّة)

سويسرة افريقية او بلاد منليك

بقلم جناب عبدالله افندي ثابت وعد الصيدلي القانوني في بلاد الحبشة (تابع لما سبق)

٧ النبات

سبق ايراد ما يتعلق في هذا الباب في الفصول السابقة اذ تكلمنا في وصف كل قسم من اقسام الحبشة عن النبات المختص بهِ دون غيرهِ . فلم يبقَ علينا هنا الّا ان ننظر نظرة عموميَّة في نبات الحبشة بنوع الاجمال وان نورد بعض خواطر في هذا الموضوع فنقول :

الحبشة في كل جهاتها كثيرة النبات وهو فيها متعدد الاجناس والانواع وبعضه

غريب كما اشرنا آنفاً . وانما يصدق فيها بوفون (Buffon) حيث قال : « ان الطبيعة ارتكبت فيها غلطاً جسيماً » فان عين المسافر تنبهر من مرأى هذه الخضرة الكثيرة والزهور الجميلة وانفهُ يعتريهِ ما يصل اليهِ من الروائح الزكيَّة . انما يا لخيبة امله اذا ما رام ان يفتش على فاكهة طيبة او نبات لذيذ الطعم فانهُ يرجع بخفي حنين . عبثاً يقطف ما تريهِ الظواهر حسنهُ ولا يكاد يدنيهِ من فيهِ حتى يشعر بمرارتهِ او بكراهة طعمهِ وكثيرٌ منهُ سمّ زعاف . امَّا الاشجار التي تثمر فواكه فلا وجود لها الَّا في اديس ابابا وهرر في بعض البساتين حيث عملت يد الاوربي . ما خلا بعض اشجار الدراق والليمون التي يوجد منهـا في بعض احراش مقاطعة الشوا على مقربة من اديس ابابا وانما أُتيَ باصلها من بلاد اخرى في زمن غير معروف ولعدم الاعتناء بزراعتها استحالت اليوم الى اصلها البرّي واصبح ثمرها غير مأكول . ولكن النباتات الطبيّة غزيرة فما خلا الاشجار التي سبق ذكرها فان الخبيزة والخطميّة والقريـة (Sauge) والكسرة والبارسطاريون (Verveine) والترمس (Lupin) والخروع والتمر الهندي والخشخاش والجرجير والنعنـاع والصعتر والمليسة والبرش (Stramoine) وغير ذلك ملء الاحراش والحقول والبراري والبساتين

امَّا الكرمة فقد كانت فيما سلف تغطي جبال القسم الاوسط واوديته وسهولـه لذلك عُرفت هذه المنطقة باللغة الحبشيَّة كما ذكرنا آنفاً باسم « واينا دوكا » اي الاعالي المزروعة كرماً . وكان الخمر فيها غزيراً كالماء . وهذه الكرمة ايضاً لم يكن اصلهـا من الحبشة انما أُتيَ بها من البلاد الاجنبيَّة بدليل اسمها « واينـا » المشتقّ من الاسم اليوناني (oiné) . امَّا اليوم فلم يبق الَّا اثر صغـير (وفي هرر فقط يكاد لا يُذكر ولا يُعتدّ بهِ لقلتهِ بالنسبة الى السالف) لكل تلك الكروم التي استوصلت في عهد الامبراطور ثيودورس الذي أمر بقلعها من كل مملكتهِ وذلك لاعتقـادهِ — على قول البعض — ان الخمر عصير اجـلّ شرفاً وارفع شأناً من ان يشربهُ البشر . وقد أكد الكثيرون من علية القوم الاحباش ان هـذا الاعتقاد الفاسد انما دسَّهُ لهـذا الملك المرسلون البروتستانت وعلّموه كيف يستعيض عن الخمر بمشروب آخر كحولي يصطنع من العسـل وهو الشائع اليوم في الحبشة والمعروف عندهم تحت اسم « ططج » حتى لا يبقى خمرٌ في الحبشة ويستحيـل على الكهنة القداس .

فيستطيعون الوصول بسهولة الى نيل مبتغاهم . ولكن يا لخيبة آمالهم فان هؤلاء المحتالين باطلاً كانوا يستعملون ضروب المكر والخديعة وينفقون الذهب الوضّاح ويبهرون عيون هؤلاء القوم السذّج بما كانوا يأتونهم من الهدايا المختلفة الانواع اذ بالرغم عن كل هذه الوسائط البشريّة — بل قل الشيطانيّة — لم يحصلوا قط على نتيجة ما بل كانوا يرتدون في كل مرة على اعقابهم خاسرين حتى قطعوا اخيرًا املهم وابطارا رسالتهم بالكليّة . وها هي الحبشة الى اليوم بما فيها من تنوُّع المذاهب والاديان خالية والحمد لله من جرثومة هذه البدعة . بينما نرى رأي العين الرسالة الكاثوليكيّة تنمو بالعكس وتزهر وتأتي بالثمار الانجيليّة الشهيّة . وهي لا تستعمل من الوسائط الّا قوة البرهان بالكلام وافعال الرحمة بالعمل . ترى عمالها فقراء وبيوتهم حقيرة ولكنهم اغنياء وباسلون بنعمة وقوة ذلك الذي امرهم ان يبشروا الامم ويعمدوهم ويتلمذوهم لاسمه

٨ الحيوان

ما قلناهُ قبيل هذا عن غزارة النبات وغرابته وتعدُّد انواعه واجناسه ينطبق ايضًا تمامًا على حيوان الحبشة فان هذه البلاد لم تزل الى اليوم محشر الحيوانات التي خلقها الله على تنوُّع اجناسها . وبها كثير مما انقرض في سواها من اقطار البسيطة

فلنبتدئ بتعداد الطريدة من فصيلة الأيل (ies Antilopes) التي منها الغزال والاوريكس (Oryx) والمادول والديلو وغير ذلك مما هو كثير في كل انحاء افريقية . لمّا المختصّ وجودهم بالحبشة فقد أطلق عليهم الزولوجيون المحدثون الذين شاهدوهم في البعثات العلميّة اسماء هي خليط من لغات الصومال والگالّا والحبش والعرب والانكليز . فمنهم الكروو وهو نوعان كبير وصغير والكردي والهرديست والانتيلوبور والدكولا والكروبر والساز والاوربي والدگدك وغير ذلك بعضهم يتيه متوحّدًا في الغابات والبعض الآخر يدعى قطعانًا كالغنم . فالكروو الكبير هو بحجم الفرس ولهُ قرنان يتجاوز الذراعين طولهما والدگدك بحجم الغزال الصغير وقد شرحناهُ مطوّلًا في ما سبق (المشرق ١٥ ايلول سنة ١٩٠٣) والكروبر والدكولا والانتيلوبور لهم حجم الغزال ويفوقونهُ جمالاً ولطفًا وسرعة جري . لحمهم لذيذ وفروهم دافئ وهم يرعون قطعانًا على مقربة قرى الگالّا

واغلب حيوانات هذه الفصيلة سهل التدجين كالغزال المعروف الذي تراهُ يقفز في البيوت ويأكل من يد صاحبهِ . وقد رام احد المرسلين الكاثوليك ان يدجن الكروبو في احد اديرتهم في بلاد العروسي فاصاب المرمى . واذ ترعرع هذا الحيوان في ذلك الدير وكبر فيهِ صار يذهب في الليل الى الغابة المجاورة وهو يطنطن الجرس الذي جُعل في عنقهِ ثمَّ يعود في النهار الى الدير ليأكل من يد الراهب المرسل ويلعب مع خدَّام الدير وكلابهِ وكان يمر بين الفعلة المشتغلين وقتئذٍ ببناء غير مذعور من ضجيجهم . وعند ما يأتي المساء كان يسير الى الحرش ليجتمع بذويهِ وبني جنسهِ ولم يكن احد من الكالا الوطنيين في تلك الناحية ليأتيه باذى بل انهم كانوا بالعكس كلما ارادوا صيد حيوان من هذا الجنس ينتبهون ان لا يكون هذا « بيشون » — الاسم الذي دعاهُ بهِ المرسل — خاصَّة الدير

اما القرود فحدِّث عن كثرتها في غاباب الحبشة ولا حرج بعضها بلا لحية وبعضها بلحية بها كثير من الشعر الابيض لكن كلها باذناب طويلة هلباء ولها نواصي شعر على مقدمة رؤوسها مدردرة على جبينها او مجعَّدة . تشاهدها خصوصاً على الاشجار المرتفعة تقفز من غصن الى آخر ومن شجرة الى اخرى كانها تهدو في الهواء . وانواع هذه القرود متعددة فمنها الكوريز (Colobus gorezza) وهو سعدان جميل عليهِ كساء ناعم ابيض واسود يتماوج في النور كالحرير فترى الحيوان يتلألأ كالزمرد بين الاغصان الخضراء . ومن خصائص هذا النوع من الحيوان انهُ لا يسرق كبقيَّة انواع القرود الذين يُتلفون المزارع في الجهات التي يسكنونها بل انهُ يكتفي بالقليل ويقنع بما يجدهُ في الاحراش من الثمار البريَّة . واذا رمى صياد برصاصهِ قردًا من هذا النوع ألقت القرود كلها بنفسها الى الارض في محل الحادثة وحملوا اولاً ميتهم ذاهبين بهِ الى حيث لا يُعلم . والمظنون انهم يدفنونهُ في التراب . ولا يمضي بضع دقائق الَّا وتراهم قد اندفعوا مئات حاملين الحصى ليأخذوا بثأر اخيهم المقتول فيرجمون كل من تجرأ على ان يترامى لوجههم وهم في حال غضبهم . ومن انواع هذه الفصيلة ايضاً قردٌ كبير مفترس يوجد في الجهات الغربيَّة . وقردٌ صغير يدعى (Waldighisa) لا يخرج من بيتهِ الَّا في الليل وهو يحفر وكرهُ سرداب تحت الارض يتَّبع فيها بيوت النمل الابيض كأن الله اقامهُ عدوًا لجناه هذه الحشرة التي تأتي كل انحاء افريقية الحارَّة بمضار جسيمة

قلنا ان هذا النمل — ويقال لهُ (Termite) — حشرة كثيرة الضرر ولم نقِ بذلك النعت الذي يستوجبهُ بل انا الاجدر بهِ ان يُنعت بالداهية الدهماء لأنهُ ينسلّ في جزوع الاشجار فيهلكها وفي أخشاب البيوت فيقرض قلبها قرضاً بدون أن يُسمع لفعلهِ حركة او صوت . فكم من بيتٍ في هذه النواحي كان اصحابه نياماً فيهِ آمنين واذا بالسقف قد هبطَ عليهم بغتةً ولم يُبقِ منهم نافخ نار وكانَ هذا الدمار عمل ذلك المتلف الخفيّ . واذا مررتَ في اي ناحية من جهات افريقية ورأيت اكماتٍ ترابيَّة صغيرة منتصبة على سطح الارض علوّها من متر الى ثلاثة امتار ودائرتها من مترين الى اربعة تشبه القبور لقيامها عمودياً واستواء اطرافها وكثرتها في بعض الجهات فاعلم انها بيوت هذا النمل الابيض قد بناها ليلجأ اليها اذا ترطبت اوكارهُ تحت الارض عند سقوط الامطار . واذا شئت ان تهدم احد هذه الاوكار لرأيتهُ قاسياً يابساً كثير التشبُّك ولما تمكنت من ذلك الّا بمشقة وعناء ولما استطعت كسرهُ الّا بالمعول . ويوجد ايضاً في الحبشة داهية اخرى خفيَّة من هذا النوع تريد نملاً احمر صغيراً يخرج منهُ من وكرٍ واحد مئات الالوف ويتعرض حتى للمواشي الكبيرة الضخمة كالجمل . فاذا وثب في الليل على فريسة ملأَ بالوفهِ جلدها وغطّاهُ حتى لم يبقَ منهُ فاضياً قدر رأس الابرة . ثمَّ لدغها لدغات رفيعة وعميقة فتلبط وتضرب الارض وتتمرَّغ على الرمل ثمَّ يعتريها جنون من الم اللدغات وحمى قويَّة يجعلانها تركض ذات اليمين وذات الشمال ثم يلقيانها اخيراً على الحضيض بلا حراك فيزداد حينئذٍ عداد هذا النمل وينتهز لحمها ويلتهم حشاها ولا يطلع الفجر وينبثق نور النهار الّا ولم يبقَ من الدابة غير هيكل عظامها نظيفاً ابيض ويكون النمل قد عاد الى اوكارهِ

ولنتكلّمن ايضاً هرج مرج بلا اتباع الفصائل عمَّا يعيش في هذه الاقطار الحبشيَّة من الوحوش والحيوانات والافاعي . فمن ذلك الأبوجهل (Léopard) وهو فيها نوعان كبير وصغير . والبنتى (Guépard) وهو حيوان جميل قابل للتدجين وقد نظرتُ منهُ بنتى داجناً عند احد الفرنساويين في جيبوتي . والـ (Once) والـ (Ocelot) والوسق (Lynx) والـ (Genette) وهؤلاء كلهم يفترسون الغزلان والجداء والطيور الداجنة كالدجاج والاوزّ . والـ (Felis caracal) وهو نوع من الوسق يمتاز عنهُ بحصل شعر طويلة قاسية تنبت على اذانهِ فتكسبهُ هيئة مضحكة . والضباع وبنات

آوى اللواتي يحمنَ حول المدن والقرى والمساكن ليغتذينَ بالاقذار او يتبعنَ خطوات السباع عن بُعد ليشبعنَ من فضلات فرائسها . والضبع الكلابيَّة (Hyena dog) وهي تسير شراذم كذئاب روسية وقد تتعرَّض في جوعها حتى للانسان . وقطّ المسك (Civetta vivereum) وهو حيوان صغير كثير الوجود يلقي مسا يفرزه من المادَّة المسكيَّة العرف على ما يصادفهُ من الاعشاب وكثيرًا ما ينخدع الغريب بهذه الرائحة الزكيَّة فيظنُّها عرف النبات الذي يجهلهُ . امَّا الوطنيُّون فينسبون لهذه الرائحة منافع كثيرة منها انها تمنع الصداع والله أعلم بصحة هذه المنافع . امَّا هذه المادَّة المسكيَّة — وتدعى بنفس اسم الحيوان Civette — فلا يفرزهـا الَّا الذكر وذلك من بويضتين مركزها في اسفل بطنهِ على ثلثي المسافة بين الصرَّة واعضاء التناسل . وهي من الاصناف الغاليـة الثمن كالمسك المعروف بل ربما فاقت هذا الاخير غلاء وطيب عُرف لذلك كثيرًا ما ينصب الاحباش الشباك والفخاخ لهذا الهر حتى يمسكوه ويجلبوه في قبضتهم ليتنفعوا من مبرزاتهِ المسكيَّة التي يبتاعها منهم التجار باموال كثيرة . وهم يحفظونهُ في اقفاص من القصب مستطيلة الشكل ويطعمونهُ لحمًا مفرومًا ومجبولاً باللبن . ولولا منفعته هذه لاستوجب هذا الحيوان الاستئصال . ومثلهُ الهر النمري (Chat - tigre) والدلق (Fouine) والنمس فانهما بليَّة تذكر ترمي الويل في بيوت الدجاج وتفترس بقيَّة الطيور الداجنة

ويوجد ايضـاً في هذه الاقطار نوعـان من الخنزير احدهما هو الخنزير الداجن ولكنَّهُ في حالتهِ الوحشيـة والآخر نوع من الخنزير البرّي يقال لهُ Sanglier vacofer . والتنفذ الذي يُشاهد شركهُ منتشرًا على الارض في كل مكان . والدامـان الحبشي (Daman ; hyrax abyssinicus) الذي يوكر في شقّ الصخـور . والارنب والسنجاب وفأر الغوط (Mulot) وهو ابن عم السنجاب يوكر في الارض ولهُ ذنب طويل غليظ . وانواع كثيرة من السمُّور (Martre) والزردوا (Putois) وحربا . البحت (Caméléon) والـ (Ichneumon) ونوع من جدي المـاء يدعى بيسان (Pecora,aquatica) يبالغ البعض في جودة قرائهِ ولذة لحمهِ وهو يأكل عشبـاً وسمكاً . وكثير من الجآذر والوعول والجواميس منها الدكولا (Tragelapus de-coula) والبوهور (Cervicapra bohor) والارندين (Cervicapra arinde-

(Tragelaphus gademsa) والكادمسا (Kobus defessa) والكابوس nium
(Strepsiceros imberbis) والاحلط (Tragelaphus angasi) والانغازي
(Tragelaphus scriptus roua-) والروالبني (Kobus ellipsiphrymus) والا
(Topi : Damaliscus jimela) وجاموس جكسون (Bubale Icini) والتوبي
(Bubale de Swayne) وتورا يتومان (Tora de Jackson) وجاموس سواين
(Orcatragus saltator) والسلتاتور (de Neumann) والزرافة الطويلة العنق
ويغني ذكرها عن وصف جمالها . وحمار الوحش وهو حيوان جميل ايضاً مخطط الجلد
قدر البغل حجماً لكنهُ خامل الطبع وقد ادجنهُ البعض واستعملوهُ للركوب فنجحوا
لكنهم لم يصيبوا المرمى لخمولة طبعهِ . وثعبان اسود من الثعابين المعروفة باسم Aspic
لا يتجاوز طولهُ نصف الذراع وتخنهُ الابهام وهو يقتل ثوراً بلدغة واحدة . وكثير من
الافاعي والحيات المضرة والغير المضرة المتعددة الانواع . امَّا الحنش المعروف باسم Boa
فوجودهُ منحصر في السهول الحارَّة من القسم الادنى

امَّا الدبابات المجنحة في طور حياتها الثالث كالفراش والجيز والصرصور ونحوها
فانواعها تُعد بالالوف . وكم من مجموعة منها اهداها الرحالون لمعارض الدول فكانت
نادرة المثال قليلة الوجود

امَّا السباع والوحوش الكاسرة والحيوانات الضارية فوجود من كل انواعها ما خلا
الذئب والدبَّ والنمر . وقد رأى البعض وحشاً يشبه هذا الاخير فظنوهُ نمراً (Tigre)
ولكنهُ لم يكن بالحقيقة سوى فهد (Panthère) كبير جلدهُ رمادي ضارب الى
الصفرة وعليهِ خطوط مستطيلة سوداء وهو لا يقل شراسةً عن النمر فقد افترس فهد
من هذا النوع في مدة شهر واحد احد عشر غلاماً من اتباع الرسالة الكاثوليكيَّة في
نواحي بلدة لُويمه في مقاطعة الشوا . وكم من مرة دمَّر القرى تدميراً في بعض الجهات
ولكنَّ الخالق جعلهُ لحسن الحظ قليلاً . ويوجد ايضاً فهد آخر من النوع الصغير وهو
كاسر كذلك انما باقل درجة من السابق فانهُ لا يتعرَّض الَّا للنساء والاولاد وربما
اختطفهم من داخل البيوت لكنهُ ينهزم مسرعاً اذا رأى رجلاً حاملاً رمحاً . ويدعوهُ
الكالَّا « ماتاكوتي » اي قاطع الرأس وذلك لانهُ يثب على فريستهِ فينزع رأسها عن جسدها
باظافرهِ قبل أن يأكلها

اما ملك الوحوش وسيدها فيقطن الغابات الكثيفة وهو يخرج من عرينه بعد غياب الشمس فيطوف في الليل البطاح والوهاد وربما ابتعد عن مربضه مئات من الكيلومترات وهو معروف ومحترم من جميع السكان . وان شاء احدهم ان يتكلم عنهُ دعاهُ « اخانا » و « قريبنا » لانهم عرفوا شرف نفسه وفخامة طبيعته وانهُ لا يتعرَّض للانسان الذي لا يتحرَّش به او يتكبر امامهُ متهددًا اياه ما لم يكن قد اضناهُ الجوع . وقد اكد البعض انهُ اذا صادف ولدًا او امرأة قد داهمها الليل في الطريق فانهُ يرافقهما الى بيتها ليردَّ عنهما ما قد يداهمهما من المصائب . واليك نتف مما شوهد عن شرف نفس هذا السبع البطل : حُكي عن غلامين كانا يسهران في حراسة حقل يخصّ دير الرسالة بقرية بيلالو في بلاد إيتوكالا واذا بالاسد قد ظهر بغتةً على باب الكوخ الذي كان الغلامان جالسين فيه . فلمَّا رأياهُ غابا عن رشدهما من شدَّة ما اعتراهما من الخوف وانطرحا على الحضيض يبكيان . لمَّا الاسد فوقف ينظر الى صغر سنهما بعين الرأفة وشفق لدموعهما السخيَّة ثمَّ انثنى راجعًا ولم يأتهما باذى . لكنهُ ذهب من هناك الى قرية قريبة وافترس رجلًا كان مضجعًا تحت السماء بين اثنين من ذويهِ . وقد قيل — وهذا قول زويهِ على علَّاتهِ — ان هذا الرجل كان في العشيَّة منقبضًا صدرًا وكانت نفسهُ تحدثهُ بالشؤم فصاح باصحابهِ ليبعدوا عنهُ تباريح الكرب ورجاهم الَّا يتركوهُ وحدهُ في الليل ففعلوا ولكنهُ لم يخلص بذلك من السوء الذي حدَّثتهُ بهِ نفسهُ . فذهب فريسة الاسد وبقيَ صاحباهُ منذهلين وخائفين مما كان

ورويَ ايضًا عن احد الرسلين كان عائدًا من بلاد العروسي الى الشوا ومعهُ ارفاق لهُ من الكاثوليك انكالا فضربوا خيمتهم في عشيَّة يوم بالقرب من نبع ماء . ولمَّا أخرجوا ما معهم من الزاد ليأكلوا اذا بزئير الاسد قد ملأ الفضاء فجزعوا وكان الصوت يقترب اليهم فقاموا حينئذٍ جميعهم مسرعين قبل فوات الوقت وجمعوا حطبًا واوقدوا دائرة من النار احاطت بهم وبدوابهم . ولحسن حظهم كانت مكانئذٍ الاشجار كثيرة وكان معهم فؤوس وهي سلاح الغلمان فاستطاعوا ان يقدموا للنار ما يحيي لهيبها الى ما بعد نصف الليل وهكذا ظلَّ المفترس بعيدًا عنهم لا يجسر على اجتياز النار حتى اعيا من الانتظار بلا جدوى فابتعد عنهم رويدًا رويدًا حتى صاروا يسمعون زئيرهُ من اقصى البعد البعيد ولكنهُ خلَّف بينهم تذكار زيارتهِ لهم وكان هذا التذكار

صداعاً وحمى سببها الخوف الشديد والاتعال النفساني وطول الوقت الذي اقاموا بهِ بين النيران

نذكر ايضاً الجاموس الوحشي (Buffle) وهو من اشرس سباع الحبشة . تراهُ يطوف عشرات ووحداناً واذا رأى انساناً اقتحم عليهِ ولا يوقفهُ في وثوبهِ صخرة ولا شجرة ولا هاوية حتى يصل الى عدوهِ . لهُ قرنان طول الواحد منهما متران ودائرته في اسفلهِ ستون سنتيمتراً وقد يستعمل هذه القرون علية الاحباش كآنية في بيوتهم فيضعون بها خصوصاً الططج وهو مشروب كحولي ذكرناهُ غير مرة . ويوجد ايضاً وحيد القرن (Rhinocéros unicorne) ومثناه (Rhinocéros bicorne) وهذان يرعيان العشب وورق الاشجار . شرهدَ منهما حتى في الجبال التي تعلو سطح البحر ٢٥٠٠ متر. وهذا النوع من الحيوان يحب كثيراً قصب السكر ولا يحتقر ايضاً البقول لذلك زاد ما يدمّر المزارع تدميراً واذا اهاجهُ انسانٌ وتّر قرن انفهِ وغمض عينيهِ ووثب وثباً مستقيم الصوب الى الامام فعلى الرجل ان لا يعتريهِ الخوف بل يبتعد قليلاً عن خطة طريق الوحش فيراه يمر من امامهِ مكتفلاً هجومهُ الى بعيد ثمَّ يقف ويفتح عينيهِ وينظر الى عدوّه نظر المنتقم ويعيد وثباته المستقيمة الخط مرات كالاولى حتى يعييهِ التعب والرجل يتنحّى في كل مرة عن خطة هجومهِ واذا كان بيدهِ سلاحٌ ناريّ فانهُ يرميهِ برصاصة من خلفهِ عند ما يبتعد عنهُ بعد مرورهِ من امامهِ . . وقطعانٌ من افراس الماء وهي تعيش في جوار البرك والبحيرات والانهر الكبيرة تراها في النهار تعوم على سطح الماء في سباحتها كأنها الجزر المتحركة فتلتهم ما تصادفهُ من الاسماك واذا جاء الليل خرجت تحت ستر الظلام الى الشواطئ وحافة المستنقعات لترعى العشب الاخضر . جلد هذا الحيوان شديد القساوة قد لا يعمل فيهِ رصاص البنادق ويُعمل منهُ في الحبشة عادةً الاسواط القويّة والتروس المنيعة . . وانواع عديدة من التماسيح بعضها عظيمة وهي عقبات في سبيل الملاحة في الانهر الكبيرة كالنيل وبعضها لا تتجاوز الثلاثة امتار ولكنّها لا تخلو من الهول . وكذلك يُرى الايكوان (Iguane) متعلقاً بذنبهِ على الاغصان يتراوح في الهواء على ضفاف الماء.

نختم كلامنا في فصل السباع بتسطير شيء عن الفيل . قال بوفون : « انَّ فيلة افريقية من اضخم فيلة العالم باسرهِ » وقد صدق بقولهِ فان قياس فيل الحبشة قد

يتخطى الخمسة امتار وسنو حياته قد تتجاوز المائة وخمسين عاماً وكلما تقدّم الفيل في الشيخوخة كبرت انيابهُ وضخمت واضحى عاجها فاخرًا وقد شاهدتُ نابًا في كبي الراس ما كونين يبلغ طولهُ ستة اذرع حبشيَّة — والذراع الحبشي كناية عن نحو نصف متر — امَّا فيلة آسيا فيظهر انها دون فيلة افريقية ضخامةً واقلها عمرًا واقصرها انيابًا والجنها عاجًا . وقد أُحصي عدد الفيلة التي تُقتل في افريقية للانتفاع بعاجها فاذا هو اربعون الف فيل معظمها من الحبشة ومع هذا فانهُ لم يحدث الى اليوم نقصان يُذكر من هذا الحيوان في تلك الاقطار لان الاحباش والاوربيين لم يدخلوا بعد بتنصهم الى بلاد ما وراء الاحرة في الداخلية حيث اضخم الفيلة واعظمها انيابًا واكثرها عددًا . وقد باع منليك وحدهُ في السنة الماضية ثمانية عشر طنًّا من العاج فضلًا عمَّا باعهُ بقيَّة الاحباش . ويساوي سعر الغرازلة — زنة حبشيَّة تساوي ١٧ كيلو وربع — من العاج في ارضه بالحبشة من ٣٢٠ الى ٣٥٠ فرنكًا فتصوَّر . ويقول العارفون انهُ ولو دامت الحال على هذا المنوال لا يتقرض الفيل من الحبشة قبل مضيّ مائة وخمسين سنة على الاقل

غذاء الفيل الخضرة كما هو معروف فهو يرعى الاعشاب واغصان الاشجار واذا دخل قطيع من الفيلة الى احدى المزارع فانها تدمرها تدميرًا بارجلها الضخمة وتقتلع الزرع بخراطيمها القويَّة ولا تخرج منها حتى تبيد كل شيء بها وترص الارض بارجلها العموديَّة الثقيلة كالمخابيط . واذا تصدَّى لها الانسان فويل عظيم يلمّ به وبقرى الناس المجاورة . فالاجدر بهِ ان ينهزم من طريقها ويختفي عن مرآها لانَّ الفيلة اذا ما وثبت عليهِ وطأتهُ بارجلها وهرستهُ هرسًا حتى تُجبل لحمه بعصيره ثمَّ تنقض من شدَّة غضبها على القرى المجاورة فتخرب الاكواخ وتفتك بالناس فتكًا ذريعًا

على أنَّ الفيل مهما هو عليهِ من الشراسة في الحالة الوحشيَّة يصبح دميس الطبع في الحالة الداجنة ويأتي الانسان بالنفع الجزيل لانهُ يحمل الاثقال التي لا يقوى غيره من الحيوانات على حملها حيث لم تعبأ بعد الآلة البخاريَّة . فما من احد يجهل ان ملوك الهند والصين كانوا يستخدمون الفيلة رخصوصًا في ايام الحروب وكانوا يحملون على ظهر الواحد منها بيتًا بكل ما فيه . وتاريخ الحبشة يثبتنا جليًّا ان الاحباش استخدموا ايضًا الفيل في سالف الزمان اذ يذكر عن الملك كبرا مسكل — اي عبد الصليب — انهُ

« خرج للقاء رسل يوستنيانوس القيصر راكباً عجلة لها اربعة دواليب ومغطاة برقائق الذهب وصفائحه وكان يجرّ هذه العجلة اربعة من جياد الفيلة . اه » اما اليوم فالاحباش يجهلون العربات والاشغال الذهبيّة المتقنة وتربية الفيلة

*

رأينا ان ذوات الاربع كثيرة النوع والعدد وعجبنا لغرابة بعضها ولكنّا اذا صوّبنا الطرف الى ذوات الاجنحة في بلاد منليك تدهش افكارنا وتبهر ابصارنا من مرأى العدد العديد من نوع الطير وتعدّد الوان ريشه التي يأخذ جمالها بمجامع القلوب . اما تعداد كل هذه الانواع في مثل هذه العجالة فضرب من المحال لانها اكثر من أن تذكر لذلك نكتفي بسرد اشهرها وهي :

البيغاء والبجع والرخم (Guépier) وال (Martin-pêcheur) وال (Francolin) والسنونو وال (Pintade) والحجل والسنن والحمام والقمري واليام والبطّ والOutarde والاوزّ البرّي وهي تشاهد سربات سربات طائرة في كل جهات هذه الارض حتى ان البعض منها تسبب لكثرتها خسائر مهمّة في غلّات الحبوب . لذلك يضطرّ الزارعون قبل ايام الحصاد ان يحرسوا حقولهم من هذه الاعداء المجنحة فيختبئون في الاشجار او يقفون على المرتفعات والاكمات ويصيحون بالطيور ليخيفوها ويضربونها بالمقلاع حتى تنهزم .. والعصفور الكردينال (Oiseau-cardinal) الارجواني الريش تراه واقفاً على رؤوس الاغصان يغرّد تغريداً وتغمات صوته تشبه نغمات البلبل بل تفوقها طرباً بما فيها من الحركات .. والشحرور وهو انواع والوان فمنهُ الاشقر والاسود والاحمر وكلها لها نغمات جميلة في تغريدها .. وابو براقش وهو من ابدع الطيور نقوشاً وازهاها الواناً .. ونوع من ابي قنبرة لسود اللون ياقوتي الجناحين اذا صوتهُ كالنخير لا يوافق حسن لونهِ وجمال حركاتهِ .. وراهبة الحبشة (Monoxita æthio-pica) وهو عصفور اشقر اللون رأسهُ وعنقهُ وجزء صغير من اعلى صدره اسود الريش . وذباب الطير (Moucherolle) وهو عصفور يمتاز بريشتين بيضاوين في ذنبهِ يفوق طولها كثيراً عن طول الذنب فتعيقانهِ في حركاتهِ وقد تتشبكان احياناً في الاغصان والاشواك فتوقفانهِ عن الطيران كانهُ أُخذ في الفخ حتى يخلّص نفسه بحركات معاكسة . . والشرشور (Pinson) الاصفر والقاني .. والدحّ الاصفر (Bergeronette) . .

والا (Bouvreuil) المسطر بالاسود مع الابيض او الاصفر . . وسربات من العصافير الصخّابة لونها ازرق ولمانها معدني وهي بحجم الشحرور . . والهُدهُد المتنوّع الالوان . ولاسع الثور (Pique-boeuf) وهو عصفور دموي رفيع المنقار يحطّ على الماشية ويتمكن على ظهرها بخالبهِ ثمَّ يغرز فيها منقارهُ ليمتصّ الدم (لهُ بقية)

ناصيف المعلوف وأُسرتهُ

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف .

مدرّس آداب اللغة العربيَّة والخطابة في المدرسة الشرقيَّة في زحلة (تابع)

٥ عودة ناصيف الى لبنان

وفي صيف سنة ١٨٤٨ قدم ازمير بعض السيَّاح الاوربيين شاخصين الى سوريَّة لتفقُّد آثارها القديمة وأبنيتها الفخيمة التي كانوا يقرأون وصفها ممَّن سبقهم اليها من الاوربيين روَّام الآثار وروَّاد الآفاق . فبحثوا عن ترجمان يعرف العربيَّة وبعض اللغات الاوربيَّة ليكون ترجمانهم في سياحتهم فأُرشدوا الى ناصيف . ولما عرفوا انهُ سوري لبناني ورأوا بعض مؤلفاتهِ التي كانت اكبر مساعد للسيَّاح في الشرق ألحُّوا عليهِ ان يرافقهم في سياحتهم لمعرفتهِ بوطنهِ اكثر من غيرهِ . فاجاب الى دعوتهم وطمع بما ارصدهُ لهُ اولئك السيَّاح من الراتب الوافر واسباب الراحة وما كان يجول في خاطرهِ من حبّ تفقُّد الآثار في بلاده التي كان يسمع بها ولا يراها . ولمَّا كانت العطلة المدرسيَّة قد دنت عاد الى بيتهِ وعقد العزم على ان يرافقهم كترجمان فابحروا الى بيروت وهو معهم وقد عرَّجوا في طريقهم على كثير من المدن وتفقَّدوا آثارها فسُرَّ ممَّا وقف عليهِ من غرائب العمران القديم ورأى في هذا السفر فائدة لم يكن قد ادرك منها شيئاً يوم ذهابهِ الى ازمير وقد تنبَّه الى حاجة السيَّاح من اللغات الشرقيَّة فساعدهُ ذلك على اتمام تآليفهِ التي كان قد نشر بعضها واعدَّ موادَّ غيرها

وبعد ان وصلت الباخرة مدينة بيروت واستقرَّ بهم المقام قابل كثيرًا من اصدقائهِ ثمَّ صعد ورفيق من السيَّاح لمسهُ المسيو انطون الى زبوغة وضربا موعدًا لرفاقهم الاخرين الى زحلة في ٢٤ ايار ١٨٤٨